

هل بدد أ الأمير بن سلمان في تنفيذ تهديداته بنقل الحرب إلى العمق الإيراني بالنظر إلى الهجوم الدموي في الأهواز؟



ولماذا نجزم أن "التغريدة" الإماراتية التي "تشرعه" رسالة يجب أخذها وما خلفها بكل جدية؟ وكيف سيكون الرد إذا حدث فعلاً؟

عبد الباري عطوان

عندما يصرف الرئيس الأمريكي دونالد ترامب إيران بأنها تقف خلف معظم، إن لم يكن جميع، الهجمات الإرهابية في العالم، ويتعهد همد الأمير محمد بن سلمان، ولي العهد السعودي، قبل عام بأنه لن ينتظر حتى تصبح المعركة مع إيران على الأرض السعودية، وسيصدرها إلى عمقها، وتؤكد دولة الاحتلال الإسرائيلي بأنها ستواصل غاراتها في العمق السوري لمنع إيران وأذرعها العسكرية من إقامة قواعد صاروخية فيه، فإن الهجوم الدموي الذي استهدف عرضاً عسكرياً إيرانياً يوم السبت في الأهواز، جنوب غرب البلاد، وأسفر عن مقتل 29 شخصاً بينهم أطفال ونساء ليس مفاجئاً، بل نعتقد أنه جاء متأخراً، وأن هجمات أخرى ربما تكون أكثر دموية في الطريق، فالمنطقة تقف على أعتاب حرب استخبارية إرهابية غير مسبوقه ومدمرة لجميع أطرافها.

الرئيس ترامب يفرض حصاراً اقتصادياً خانقاً على إيران ربما يبلغ ذروته في تشرين ثاني (نوفمبر) المقبل عندما يبدأ تطبيق الشق الأهم منه، أي حظر تصدير النفط، والهدف الأساسي هو إنهاك النظام الإيراني، وزعزعة استقراره كمقدمة لتغييره عسكرياً في

نهاية المطاف، وعلامة امتنا الذّجارب أنّ "دروب أمريكا في منطقتنا ليست فوجائية"،
إنّما ثمار سوداء لاستراتيجيات موضوعة ومُتّفَق عليها وتتهياً أسبابها منذ سنوات.
الرئيس ترامب يُدرك جيداً أنّ الحصار الاقتصادي لا يُمكن أن ينجح وحده في تغيير أنظمة، وإلا
لسقط النظام الكوري الشمالي، وقبلة النظام الكوبي، وقبيل الاثنين النظام العراقي
بقيادة الرئيس صدام حسين، وحكومة حركة "حماس" في قطاع غزة، فالحصارات التي لا تتلوها أعمال
تدخّل عسكري تُعطي نتائج عكسية، ولهذا بدأ التخطيط لإقامة "ناتو" عربي ضد إيران يضم
الدول الخليجية الست، علاوة على مصر والأردن والمغرب، استعداداً لهذا التدخّل إذا
ما تقدّر، والغارات الجوية والصاروخية الإسرائيلية في العمق السوري أهد فصوله.

إيران دولة قوية، تملاك مشروعاً استراتيجياً، تُريد تعزيزه بقُدرة عسكرية محلية وإقليمية
وإقليمية نواتها قُدرة صاروخية قادرة على حسم الأمور على الأرض، وتفريغ الهيمنة
الجوية الغربية من أقوى أسلحتها، أي فرض الرعب، وبالتالي الاستسلام على الطّرف الآخر
مُبكراً، وانتقلت من تصدير الثّورة، إلى تصدير القُوّة الصاروخية، والمليشيات العسكرية
الموازية، الأمر الذي بات يُشكّل قلقاً "وجودياً" لمُعظم خصومها، وخاصة إسرائيل
والمملكة العربية السعودية.

الأمير محمد بن سلمان، وليّ العهد السعودي، والحليف الأوثق للرئيس ترامب في المنطقة،
والعمود الفقري لاستراتيجيته في زعزعة أمن واستقرار إيران من الداخل، ما كان سيُدلي بهذه
التّصريحات قبل عامٍ التي هدّد فيها بنقل الحرب إليها، لولا اطلّاعه على الخُطط الأمريكية
والإسرائيلية المُشتركة لتغيير النظام الإيراني، ومراحلها المُتعدّدة، فهذه هي
المِرّة الأولى في تاريخ الصّراع السعودي الإيراني التي يتجرأ فيها مسؤولٌ سعودي على
الحديث علناً عن "نوايا" بتثوير الأقليات الطائفية والعرقية في الدّاخل الإيراني، فجَميع
المُلوك السعوديين لم يُجاهروا مُطلقاً ورسمياً بالتدخّل الرسمي في دُولٍ أُخرى،
واتّخاذ زمام المُبادرة بنقل الحرب إليها إلا في العهد الحالي، مثلما شاهدنا في
اليمن، وسندُ شاهد في إيران.

من هذا المنطلق كان لافتاً أنّ الحرس الثوري الإيراني الذي أصابته عملية الأهواز هذه في
مقتل، وجرحات كبريائه، في وقتٍ تتوالى انتصاراته وحلّفاؤه المُباشرة وغير المُباشرة في
العراق وسورية واليمن، سارع باتّهام "مجموعة انفصالية" عربية تدعمها المملكة العربية
السعودية بالوقوف خلف هُجوم الأهواز، وتوعّد بانتقام حاسم، وكرّر التّهديد نفسه السيّد
علي خامنئي، المرشد الأعلى، وحسن روحاني، رئيس الدّولة، ومسؤولون آخرون.

لا نعتقد أنّ "التّغريدة" الّلافتة التي أطلقها الدكتور عبد الخالق عبد الله الذي يوصف

بأنه أحد أبرز مُستشاري الشيخ محمد بن زايد، ولي عهد أبوظبي، ونَفَى فيها صِفَة الإرهاب عن هُجُومِ العَرَضِ العسكِرِيِّ، وأضْفَى عليه صفة المشروعِيَّة، جاءَت زلَّةٌ لِسَانٍ، وإنَّمَا بتَوَجِيهِ مُباشِرٍ ومَدْرُوسٍ من قِيادَتِهِ بالتَّسْنِيقِ مع نَظِيرَتِهَا السَّعُودِيَّةِ، وإلا يَتِمُّ حذْفُهَا بِسُرْعَةٍ كَوَسِيلَةٍ لِلتَّجَرُّؤِ مِنْهَا، وَزَجَّ صَاحِبُهَا فِي السَّجْنِ، وَلَكِنْ هَذَا لَمْ يَحْدُثْ.

نَشَّرَ أَحْكَامُ أَكْثَرِ وَنَقُولُ بِأَنَّ الحَدِيثَ فِي المَجَالَاتِ العسكِرِيَّةِ لَيْسَتْ مَعِيدَانًا مَفْتُوحًا لِلاجْتِهَادِ أَمَامِ المُعَرَّبِ دِينَ العَرَبِ وَالخَلِيجِيِّينَ تَحْدِيدًا، وَكُلُّ كَلِمَةٍ مَحْسُوبَةٌ بِدَقَّةٍ وَعِنَايَةٍ فَائِقَةٍ، وَمَوْحَى بِهَا، لِإِصَالِ رِسَالَةٍ مُحَدَّدَةٍ إِلَى أَكْثَرِ مِنْ جِهَةٍ، فَالدُّكْتُورُ عَبْدِ اللَّهِ أَكَادِمِي سِيَاسِي، وَلَيْسَ نَاطِقًا عَسْكَرِيًّا، لِيَقُولَ بِأَنَّ "نَقْلَ المَعْرَكَةِ إِلَى العُمُقِ الإِيرَانِيِّ خِيَارًا مُعْلَنًا وَسَيَزِدَادُ خِلَالَ المَرَحَلَةِ المُقْبِلَةِ"، انْطِلَاقًا مِنْ تَقْدِيرَاتِ شَخْصِيَّةٍ بِحَثَّةٍ.

بِالنَّظَرِ إِلَى مَا تَقَدَّمَ، نَسْتَطِيعُ أَنْ نَجْزِمَ بِأَنَّنا نَعْرِفُ الآنَ أَمَامَ حَرْبِ أَجْهَزَةِ اسْتِخْبَارِيَّةِ تَسْتَهْدِفُ العُمُقَ الإِيرَانِيَّ، تَأْتِي فِي إِطَارِ خُطَّةٍ مُحْكَمَةٍ تُرَكِّزُ عَلَى تَجْنِيدِ بَعْضِ الأَقْلِيَّاتِ العَرَبِيَّةِ وَالعَرَفِيَّاتِ السَّنِيَّةِ وَالأَزْدِيَّةِ وَالبلُوشِيَّةِ (تَفَعُّ مَعْظَمُهَا فِي جَنُوبِ شَرْقِ إِيرَانِ بِمُحَاذَةِ بَاكِسْتَانِ وَأَفْغَانِسْتَانِ وَتُمْنِذِ لَهَا مُنْظَمَةٌ جُنْدِ السَّنِيَّةِ المُتَشَدِّدَةِ)، عَلَى غِرَارِ مَا حَدَّثَ فِي أَفْغَانِسْتَانِ إِبْرَانِ الحَقِيقَةَ السُّوفِيَّتِيَّةِ، وَالتِّي انْتَهَتْ بِانْهِيَارِ نِظَامِ مُحَمَّدِ نَجِيبِ الشِّيوعِيِّ.

رُبَّمَا مِنَ السَّابِقِ لِأَوَانِهِ القَوْلُ بِأَنَّ فُرْصَةَ هَذَا المُخْطَطِ مِنَ النِّجَاحِ كَبِيرَةٌ، فَالمُقَارَنَةُ بَيْنَ سُلْطَةِ الثُّورَةِ الإِسْلَامِيَّةِ فِي إِيرَانِ وَالنِّظَامِ الشِّيوعِيِّ الأَفْغَانِيِّ غَيْرِ جَائِزَةٌ، وَفِي غَيْرِ مَحَلَّهَا، رَغْمَ أَنَّ الوَلَايَاتِ المُتَّحِدَةَ هِيَ رَأْسُ حَرْبَةٍ فِي المُخْطَطَيْنِ، وَالسَّعُودِيَّةُ هِيَ أَحَدُ أِبْرَزِ السَّلَاطِينِ فِي دَعْمِهَا مَالِيًّا وَعَسْكَرِيًّا وَطَائِفِيًّا وَأَيْدِيولوجِيًّا، فَالْفَوَارِقُ هُنَا كَبِيرَةٌ جِدًّا، مُضَافًا إِلَى ذَلِكَ أَنَّ الزَّمَانَ تَغْيَّرَ أَيْضًا.

إِيرَانُ تَمَلُّكُ خَبْرَةٍ أَكْثَرَ عُمُقًا فِي الحُرُوبِ "الاسْتِخْبَارِيَّةِ" بِالمُقَارَنَةِ مَعَ المَمْلَكَةِ العَرَبِيَّةِ السَّعُودِيَّةِ وَبَعْضِ حُلْفَائِهَا فِي مَنطَاقَةِ الخَلِيجِ (الكويت وقطر وسلطنة عُمان أدانت الهُجُومَ الدَّمَوِيَّ عَلَى العَرَضِ العسكِرِيِّ وَوصَفْتَهُ بِالإِرْهَابِ)، وَازْدَادَتِ هَذِهِ الخَبْرَةُ "عَمَلِيًّا" مِنْ خِلَالِ حُوضِ الأذْرَعَةِ الاسْتِخْبَارِيَّةِ الإِيرَانِيَّةِ ثَلَاثَ حُرُوبٍ بِشَكْلِ مُباشِرٍ، فِي ثَلَاثَةِ مِيادِينَ قِتَالِيَّةٍ هِيَ سوريَّةٌ وَالعِرَاقُ وَالْيَمَنُ ضِدَّ الدَّوْلَةِ الإِسْلَامِيَّةِ خُصُوصًا، وَبِصُورَةٍ غَيْرِ مُباشِرَةٍ فِي جَنُوبِ لِبْنَانِ وَقِطَاعِ غَزَّةِ، أَمَّا الخَبْرَةُ الاسْتِخْبَارِيَّةُ السَّعُودِيَّةُ، فَلَمْ تُخْتَبَرْ عَمَلِيًّا إِلَّا فِي دَوْلَتَيْنِ هُمَا اليَمَنُ وَسوريَّةُ، وَجاءَتِ الإِنْجِازَاتُ "مُتَوَاضِعَةً" حَتَّى الآنَ عَلَى الأَوَّلِ، بِالنَّظَرِ إِلَى النِّتَائِجِ.

إِيرَانُ تُوَجِّهُ، وَمُنْذُ ثَلَاثِينَ عَامًا، تَدخُّلَاتٍ خَارِجِيَّةٍ، وَثَوَرَاتٍ دَاخِلِيَّةٍ، وَحَرَكَاتٍ انْفِصَالِيَّةٍ مَعَ الجَارِ العِرَاقِيِّ، وَكَانَ لِأَفِئْتِهَا أَنَّ الانْهِيَارَ لَمْ يَكُنْ أَحَدَ الأَخْطَارِ الَّتِي تُهَدِّدُ نِظَامَهَا فِي أَيِّ يَوْمٍ مِنَ الأَيَّامِ، بَلْ إِنَّهَا تُصْبِحُ أَكْثَرَ قُوَّةً وَصَلَابَةً، وَتَخْرُجُ مِنْ إِنْجَارِ عَسْكَرِيِّ

الرئيس ترامب يُريد تَوَربط المملكة العربية السعودية وِدُلفائها الخَلِيجيين، وبعض السُّنَّة العرب، في حَربٍ "إرهابٍ" استخباريَّةٍ خَطِرة ضدَّ إيران، تَسْتَنزِرُها ماليًّا أوَّلاً، وقد تُهدِّدُ أَمْنَهَا الداخليَّ ثانيًّا، فيه، أي السعودية، وقد تحتاج فيه إلى الاستقرار بالنظرة إلى المَرحلة الانتقاليَّة "الحادَّة" التي تَمُرُّ بها حاليًّا في العَهْدِ السِّلْمانيِّ، فمِثْلما هُنَاك أدوات يُمكن أن تُوطَّأَ فيها المملكة بتَحريضٍ أمريكيٍّ لِزَعزعة استقرار إيران، فإنَّ هُنَاك أدوات وطُرق أُخرى يُمكن أن تَسْتخدِمها إيران أيضًا، ويَكفي إلقاء نظرة سريعة على ما حَقَّقته الأذرع الثوريَّة والسياسيَّة والعسكريَّة الإيرانيَّة في الجِوارِين العراقيِّ والسوريِّ، بالإضافة إلى الجارِ اليمنيِّ البَعيد، الذي يتصدَّى لحَربٍ ربِّما تكون الأطول في تاريخه.

المُشكلة في تَقديرنا لا تَكْمُن في وَصفِ الهُجوم على العَرَض العسكريِّ في الأهواز بالإرهاب أو عَدَمه، وإنَّما في التَّبيُّحات التي يُمكن أن تترتَّب عليه، إذا بدَأنا نَدخُلُ مرحلة التَّسَوُّرِ ط في "الحَرب الاستخباريَّة" التي أبرَز عناوينها "الإرهاب" والإرهاب المُضاد، في وَقتٍ تَلَجَأُ الدُّوَل إلى الحوارِ لحَلِّ أزماتها فيها هُما زعيما الكوريتين الشماليَّة والجنوبيَّة يتفاوَضان لإنهاء حَربٍ استمرَّت سَبعين عامًّا تقريبا، وكادَت أن تتحوَّل إلى حَربٍ نوويَّة.

أمريكا تَلعَب بالنَّار في حُرُوبها الاستخباريَّة والاقتصاديَّة التي أشعَلَت فتيلَها في المِنطَقة وبتَحريضٍ إسرائيليِّ، ولكن المُفارقة أنَّ أصابع السعودية، وربِّما دُوَلٌ أُخرى هي الأكثر عُرضَةً للاحتراق.. ورُبِّما التَّسَفُّحُ م.. وإِءُ أَعْلَام.